

الثمر الداني

بالرّدّ على الحدّوشي والكتّاني

للشيخ : أبي جعفر الحطّاب

عضو اللجنة الشرعية لأنصار الشريعة بتونس

أنصار الشريعة بتونس

تقدم

الــــــــــثمر الداني
بالرد على الحدّوشي والكتاني

للشيخ أبي جعفر الحطاب

عضو اللجنة الشرعية لأنصار الشريعة بتونس

بـــــــــسم الله الرّحمــــــــن الرحـــــيم

الحـــــــــمـــــــــــد لله ربّ العـــــــــــــــالمين

و صلّى الله على محمد و آله و صحبه أجمعين

وبعد فهذا رد علمي على أحد الشيوخ من بلاد المغرب وهو في شكل مناصحة للرجل ، والأصل في المناصحات أن تكون في السرّ لا في العلن ، لكنّ موضوع المناصحة ممّا عمّت به البلوى وصار كثير ممّن ينتسب إلى السّلف الصالح في زماننا يدندن حوله لذلك أردنا أن تكون هذه المناصحة في العلن لتعمّ الفائدة والذي يبدو أنّ مباحث الاعتقاد قد اختلطت على هذا الشيخ ليخالف بذلك معتقد أهل السنة والجماعة والأصل أنّ كلّ طالب علم كلّ داعية إلى الله واجب عليه أن يعتني بمباحث التوحيد ، فالتوحيد هو الأصل لسائر العلوم ، كما قال السّفاريّ : " وبعد فاعلم أن العلم كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي " .

فما قيمة أن يكون الرجل عالما بسائر العلوم وجاهلا بالتوحيد خسر الدنيا والآخرة. كذلك التوحيد هو الأصل لسائر العبادات التي لا تصحّ إلا إذا كان توحيد العبد سليما .

توحيده أوّل فرض يا فتى **** فانهض إلى تحصيله إلى متى [كما قال الهبطي المالكي]

قبل أن أبدأ في الردّ كان لا بدّ من الإشارة إلى بعض الأشياء حتّى لا يمرّ الحدث جزافا .

أولا : أنّ الشريط الذي بعنوان " التثّبت من الأخبار ثمرة الثبات على منهج الأخيار " والذي ظهر من خلاله هذا الشيخ يحثّنا على الاقتفاء و الإتباع و ينهانا عن الفرقة و الابتداع و يأمرنا بالأدب و محاسن الطّباع كان من أعجب ما رأيت أن الذي كان يأمرنا بالأدب نقض عرى الأدب عروة عروة، قال جَهلة ، قال متعصّبين ، قال أو شبهنا بالذباب حتى أنه شبهنا بالمنافقين والعياذ بالله وسبّنا بلغتنا المحلية ، هذا مع أنّه كان يأمرنا بالأدب فكيف يأمر شخص آخر بشيء هو ليس فيه كالذي ينهى شخصا عن الربا أو عن الزنا وهو يتعامل بالربا أو بالزنا كحامل لثياب الناس يغسلها وثوبه غارق في الرجس والنجس .

تبغي النجاة و لم تسلك طريقها *** إنّ السفينة لا تجري على اليبس

و الواجب على كل داعية وعلى كل طالب علم أن يترفّع عن السبّ وعن الشتائم وعن فاحش القول حتى لا يسئ للعلم الذي يحمله وإذا أراد شخص أن يقدّم نصيحة لآخر فإنه يناصحه في السرّ وبأدب ولا يعطيه أوامر كما قال هو: تعلموا تأدبوا اقرؤوا الكتب أو اقرؤوا كتب الأدب ، بل يقول له مثلا ماذا لو فعلت كذا ماذا لو قرأت كذا إلى آخره من الأدبيات المبسوطة في الكتب التي أخذ يعدّها علينا .

ثانيا :ذكر هذا الشيخ في نفس الشريط بعض الشيوخ من بلادنا وقال إنّا قدحنا فيهم ، **والظاهر أنّ الرجل** لا يميّز بين القدح في الأشخاص وبين الاختلاف في مسائل العلم وشتّان بين هذا وذاك . صحيح أنّنا اختلفنا مع البعض في بعض المسائل و لكن لا يعني هذا أنّنا نقدح في أشخاصهم على العكس فالاختلاف من سنن الله في خلقه والصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم اختلفوا في كثير من المسائل فلا يعني أنّهم قدحوا في بعضهم البعض أو أنّ أبا هريرة مثلا لّما اختلف مع ابن عباس قدح فيه وشتمه أو من بعدهم كذلك فالاختلاف شيء والقدح شيء ثاني والمقرّر في كتب الأصول أنه من كان أهلا للنظر وأداه اجتهاده في مسألة إلى أمر فإنه يحرم عليه أن يتبع غيره ،ثمّ ردّنا مع من اختلفنا معهم كان بمثابة تأصيل لمسألة بأدلّة واضحة من

الكتاب والسنّة و لم يكن ردّا بسب ّولا بشتم ومع كوننا اختلفنا معهم إلاّ أنّنا نحفظ مكانتهم بل لو أصاب أحدهم سوء لهددنا إليه زرافات ووحدانا وهذه علاقتنا مع الجميع و ولاؤنا إلى جماعة المسلمين وليس إلى شعار أو تسمية **كما قال هو**لا والله وإنما الذي نحن فيه اليوم ممّا افترضه علينا واقعنا ، فديارنا تمر بمرحلة عصيبة لم تشهد ديار المسلمين على مر التاريخ مثلها ، فصرنا نرى في الحي الواحد السكني مسلما ونصرانيا وشيوعيا و اشتراكيا وعلمانيا وملحدا ومشركا وكل هؤلاء يقولون إنهم من المسلمين ، حتى أن الشيوعي الهالك لما قتل سمي شهيد الإسلام وخرج الناس في جنازته في حين يقتل إخواننا ولا نسمع لهم أثرا ، فديارنا اليوم تمرّ بمرحلة عصيبة وكثيرا ما تأتينا أسئلة في المعاملات فلا نجد من السلف من تكلّم فيها فديار المسلمين سابقا كانت متضحة المعالم فهؤلاء مسلمين وهؤلاء أهل ذمة وكل منضبط بأحكام الشرع أما اليوم فصارت خليطا حتى أن الملحد الذي لا يثبت خالقا للكون يموت في ديارنا فيدفن في مقابر المسلمين ، لذلك لو استطعنا أن نميز قبورنا عن قبور هؤلاء الكفرة لفعلنا في الحديث الصحيح : إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " فلا بد للمسلم أن يتميز عن غيره وهذه المسألة قد أصّلناها سابقا فلا داعي للإعادة وإن كنا أخطأنا فلعلنا ممن اجتهد و لم يصب فله أجر واحد ولو كنا أصبنا لعلنا ممن اجتهد وأصاب فله أجران ولا ينكر علينا في كل حال .

ثالثا : فيما يتعلق بعبد السلام ياسين فليس إنكارنا عليه لأنه مشى في جنازته حتى تفصيله الذي ذكره في المشي في جنازة الكافر والمبتدع لا يُسلّم له ولكن على كل حال إنكارنا من جهة أنه ترحم عليه ثم قال إنّه لا يكفره مع أن عبد السلام ياسين ليس مشركا فحسب بل هو طاغوت كما سيأتي بيانه ، ثمّ تبيّن أنّ هذا الرجل الذي ترحّم على عبد السلام ياسين يعذر بالجهل في مسائل الشرك الأكبر ويخلط فيها كما ظهر في عدّة أشرطة منها شريط بعنوان " ندوة ضوابط التكفير " كانت بمشاركته وداعية آخر من بلاد المغرب وهو عين الرجل الذي ترحم ، هذا الداعية الذي ظهر معه في هذه الندوة وفي جنازة عبد السلام ياسين هو

صاحب كتاب " نظرات في الدعوة النجدية " الذي زعم أنه ردّ فيه على أئمة الدعوة النجدية وأنهم غلاة في التكفير وأنهم استحلوا دماء المسلمين ، هذا الرجل ترحّم على عبد السلام ياسين كذلك في نفس الشريط وقال موت عبد السلام ياسين خسارة عظمى والرجال مثله قليل ونصيحتنا لأصحابه أن يثبتوا على منهجه وهذا الكلام الذي صدر منه ومن الشيخ الذي نتحدث عنه خطير جدا لأنّ عبد السلام ياسين مشرك في الربوبية بل وأبو جهل وأبو لهب أسلمُ في العقيدة منه ، فهو يعتقد أنّ الأولياء الصالحين يعلمون الغيب بل ويعلم الوليّ في مرحلة من المراحل ما سيحصل له بالتفصيل إلى موته ويعلم كذلك ما سيحصل لأصحابه ومريديه ويقول كذلك بالحلول والاتحاد لذلك فكثيرا ما يستدلّ عبد السلام ياسين بكلام ابن عربي الحلولي الملحد ويترحم عليه ويزكّيه كما أن عبد السلام ياسين يعتقد أنّ من الأولياء من هو أفضل من الأنبياء والمرسلين ، فالتجاني مثلا عنده أفضل من أربعين نبيا كما هو بيّن في كلامه إلى آخره من المعتقدات الشركية سواء في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات.

هذا الكلام يكتبه عبد السلام ياسين في رسائله ويصرّح به ويدعو إليه مريديه، هذا دعاء منه إلى دين جديد لم يأت به النّبي صلّى الله عليه وسلم لذلك فهو طاغوت عبادة بل وطاغوت طاعة الإتباع كما هو تفصيل الطاغوت المتداوَل بين طلبة العلم ،والعجيب أن الرجل الذي نتحدث عنه أي هذا الذي ترحم على عبد السلام ياسين يعلم شركيات عبد السلام ياسين بل ذكرها في رسائله منها رسالة بعنوان " حوار هادئ مع الأستاذ عبد السلام ياسين " التي ردّ فيها على عبد السلام ياسين ومع ذلك لا يكفره ويعذره بالجهل لذلك فشبهة العذر بالجهل التي صارت على لسان كثير ممن ينتسب إلى السلف الصالح اليوم هي بعينها شبهة جهمية بل مفارعة على أصول الجهم ابن صفوان كما سيأتي بيانه و قبل أن نذكر كيف تمّ تفريعها على أصول الجهم ابن صفوان وأنّها بعينها ما يعتقده الجهمية لا بدّ أن نذكر أوّلا أنّ الذين يعذِرون بالجهل في مسائل الشّرك تعلّقوا بقضايا أعيان جزئية هذا كما قال السّلف :"كلّ مبتدع إلاّ وله آية أو حديث يستند إليه في بدعته"

لذلك فهؤلاء يتركون قواعد كليّة وهي أصول الاعتقاد عند أهل السنة ويتمسّكون بقضايا جزئيّة محتملة مثاله في الولاء و البراء يتركون القرآن بأكمله ويأتون بحديث حاطب ، كذلك في مسائل الحكم بغير ما أنزل الله يتركون القرآن والسنة والإجماعات المنقولة عن غير واحد من أهل العلم ويتمسكون بأثر لابن عباس وبحادثة النجاشي وكلاهما محتمل وكذلك في مسائل التكفير يتركون قواعد كلية ويتمسّكون بحديث الذي أمر أولاده أن يحرّقوه بعد موته أو بحادثة ذات أنواط مع الملاحظة أن قضايا الأعيان هذه قد ردّ عليها أهل العلم ومنها ابن تيمية الذي ينتسبون إليه – رحمه الله تعالى– كذلك أئمة الدعوة ألفوا كتبا في الرد هذه الشبهات ومن المعلوم أن قضايا الأعيان إذا خالفت قواعد كلية فإنها تُؤول كما نقله النووي في شرحه لصحيح مسلم وابن حزم ابن تيمية وغير واحد من أهل العلم لذلك سوف نذكر ختاما تأويلات أهل العلم في قضايا الأعيان هذه التي استدلوا بها ونبدء أولا بالتأصيل بالدلالة على الذين يعذرون بالجهل في مسائل الشرك أصولهم هي بعينها أصول الجهم وسيكون هذا التأصيل باعتبار ثلاثة أصول مجمع عليها .

الأصل الأول تلازم الظاهر والباطن :

المقدمة الأولى : باعتبار القضايا الموجّهة التي تنتج ولا تنتج الشكل الأول الذي هو الجهمي أنّ الذي يفعل الشرك لا يكفر حتى يعتقد بقلبه التكذيب أو الشرك لأنّه هو على مذهبه الفاسد في الإيمان كما أنّ الإيمان محصور في التصديق القلبي فالكفر محصور في التكذيب القلبي ولا يكفر فاعل الشرك حتى يكذب أو يعتقد بقلبه إذا فالنتيجة من الشكل الأول أن فاعل الشرك مسلم لمانع منعه من الكفر كما تقدم والشكل الثاني للذين يعذرون بالجهل في زماننا وهو أن الذي يفعل الشرك لا يكفر لاحتمال جهله إذا فهو معذور بجهله فالنتيجة من الشكل الثاني أن فاعل الشرك مسلم لمانع منعه من الكفر كما تقدم ، الخلاصة من الشكل الأول الذي للجهمية والنتيجة من الشكل الثاني لمن يعذر بالجهل هي بعينها وهي فاعل الشرك مسلم بمانع وإن اختلف المانع فالنتيجة

واحدة ، والنتيجة واحدة لأن أصول الجهمية وأصول الذين يعذرون بالجهل واحدة وإن اختلفت المسميات وبيانه كالتالي :

أولا : الخلل لهؤلاء هو ناتج عن خلل في الإيمان فمباحث الكفر هي تبع لمباحث الإيمان لذلك لو كانت أصول الإيمان منضبطة عند هؤلاء لما اضطربت عندهم مباحث التكفير والمبرهن أولا أنهم ليسوا في الإيمان مثل أهل السنة وإن قالوا ذلك ، فالإيمان عند أهل السنة قول وعمل ونية بالإجماع قال الشافعي : "كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممّن أدركناهم أنّ الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر " [نقله اللالكائي في شرحه المجلد الخامس الصفحة 957]، يعني أنّ الإيمان عند أهل السنة مركب وليس بسيط ، مركب من قول وعمل ونية ، فالقول داخل في مسمّى الإيمان ، فلا بد للسامع أن يتدبر لأن أصول الذين يعذرون بالجهل هي بعينها أصول الجهيمة ولن تفهم هذا إلاّ إذا تدبّرت الكلام يعني أنّ الإيمان عند أهل السنة مركب وليس بسيط ، مركب من قول ونية ، فالقول في مسمّى الإيمان والنية داخلة في مسمّى الإيمان والعمل داخل في مسمّى الإيمان ، قال المُزني :"لا خلاف بين الناس أن النّبي صلّى الله عليه وسلم طاف بالبيت قال إيمانا بك وتصديقا بكتابك "و هذا دليل على أن جميع الأعمال من الإيمان . انتهى كلامه قال سعيد هذا آخر مسألة سألت المُزني عنها ومات بعد هذا بثلاثة أيام نقله اللالكائي في نفس المصدر ، إذا فالعمل داخل في مسمّى الإيمان بإجماع .

قال أبو سعيد هذا آخر مسألة سألت المزني عنها و مات بعد هذا بثلاثة أيّام نقله اللالكائي في نفس المصدر. إذا فالعمل داخل في مسمّى الإيمان بإجماع. هنا ملاحظة بعض المتأخّرين استند إلى كلام لابن حجر في الإيمان وقال "القول بأنّ العمل داخل في مسمّى الإيمان من عقائد المعتزلة " وهذا غلط فاحش لأنّ المعتزلة وإن وافقوا أهل السنّة في اللفظ فهم يفترقون عنهم في المعنى فعند أهل السنّة جنس العمل داخل في مسمّى الإيمان وعند المعتزلة كلّ فرد من أفراد العمل داخل في مسمّى الإيمان لذلك فالذي يترك فردا من أفراد العمل

عند المعتزلة كالذي يترك واجبا ينتقض إيمانه لأنّ كلّ واجب بعينه داخل في مسمّى الإيمان خلاف أهل السنّة جنس العمل داخل في مسمّى الإيمان فعندنا لا ينتقض إيمان من ترك واجبا أو فعل محرّما إلّا إذا ترك جنس العمل أي جميع الأعمال فهذا الذي ينتقض الإيمان فرق بين الإيمان عند أهل السنّة و عند المعتزلة و هذا ملحظ بسيط. إذا كما تقرّر الإيمان مركّب و العمل داخل في مسمّى الإيمان بإجماع و أعمال الجوارح ملازمة لأعمال القلوب يعني الظاهر ملازم للباطن و هذه قاعدة عند أهل السنّة باعتبار أنّ العمل داخل في مسمّى الإيمان هذه قاعدة "الظاهر ملازم للباطن" خلافا للجهميّة كما سيأتي. قال ابن تيميّة رحمه الله في "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" المجلّد السادس الصفحة السابعة و الثمانون بعد المائة الرابعة قال :"قد بسطنا الكلام على هذه في مسألة الإيمان و بيّنا أنّ ما يقوم بالقلب من تصديق و حبّ لله و رسوله و تعظيم لابدّ أن يظهر على الجوارح و كذلك بالعكس و لهذا يستدلّ بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن لذلك قال يستدلّ بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن كما في الحديث الصحيح " ألا إنّ في الجسم مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه و إذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب" كما قال ابن الخطاب رضي الله عنه لمن رآه يعبث في الصلاة "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه". و من هذا الباب قوله تعالى " لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ " و قوله " وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ" وقوله " وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً " ".اهـــ وهذه الآيات للدّلالة على تلازم الظاهر و الباطن لو كانوا كذا أي مؤمنين لفعلوا كذا هذا دلالة على التلازم. قال رحمه الله في مجموع الفتاوى المجلّد الثامن عشر الصفحة الثانية و السبعون بعد المائتين قال:"فالظاهر و الباطن متلازمنان" –انظر هنا– قال "فالظاهر و الباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلّا مع استقامة الباطن و إذا استقام الباطن فلا بدّ أن يستقيم الظاهر" اهـــ.

قال ابن مفلح في الآداب الشرعيّة المجلّد الأوّل الصفحة الواحدة والستّون بعد المائة ناقلا عن ابن تيميّة قوله :"و يُمتنع فساد الظاهر مع صلاح الباطن كما يُمتنع صلاح الظاهر مع فساد الباطن إذا كان صلاح الظاهر و فساده ملازما لصلاح الباطن و فساده" –انظر هنا– "إذ كان صلاح الظاهر و فساده ملازما لصلاح الباطن وفساده".

قال عثمان رضي الله عنه "ما أسرّ أحد سريرة إلّا أظهرها الله عزّ وجلّ على صفحات وجهه وفلتات لسانه" اهــ.

إذا فهي قاعدة عند أهل السنّة الظاهر ملازم للباطن و الباطن ملازم للظاهر فإذا كان ظاهره شرك فباطنه شرك فهو مشرك وإذا كان ظاهره إيمان فباطنه إيمان فهو مؤمن و استثنى الله حالة واحدة وهو المكره وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالى. إذا فعندنا الظاهر ملازم للباطن خلافا للجهميّة الذين قالوا بانفكاك الظاهر عن الباطن و هذا بنوه على مذهبهم الخبيث لماذا لأنّ الإيمان عند الجهميّة هو التصديق فكما حصروا الإيمان في تصديق القلب حصروا الكفر في تكذيب القلب إذا فالإيمان عند الجهميّة بسيط وليس مركّبا كما تقدّم عند أهل السنّة قلنا هو مركّب عندها قولا و عمل ونيّة خلافا للجهميّة قالوا الإيمان هو التصديق فقط فهو عندهم بسيط يعني هو التصديق فقط و العمل و القول عندهم أي عند الجهميّة خارجان عن مسمّى الإيمان فعند الجهم ابن صفوان الظاهر منفكّ عن الباطن و ليس بملازم له لماذا لأنّ العمل و القول خارجان عن مسمّى الإيمان لذلك فأعمال الجوارح ليست من الإيمان و ليست ملازمة لأعمال القلوب مادام العمل خارجا عن مسمّى الإيمان لذلك فعندهم الظاهر الذي هو العمل هو ثمرة فقط و ليس ملازما هو ثمرة للباطن يعني قد يثمر الباطن أعمال الجوارح و قد لا يثمر و في كلا الحالتين سواء فجعلوا المسلم كالمشرك الذي يعبد الأصنام و الشياطين مادام إيمانه في قلبه و لا يكفّروه إلّا إذا اعتقد الكفر يعني بل الذي يعبد الشياطين عندهم قد يكون إيمانه مثل إيمان أبي بكر وعمر نسأل الله السلامة. إذا باختصار الظاهر عند الجهم منفك عن الباطن و ليس

ملازما له كما عند أهل السنّة لذلك فكما يكون الظاهر إيمانا و الباطن إيمانا فهو مؤمن يكون الظاهر شرك و الباطن إيمان وهو مؤمن كذلك و هذا عين مذهب الذين يعذرون بالجهل كما سيأتي لأنّ الذين يعذرون بالجهل يقولون قد يكون ظاهره شرك وكفر و باطنه إيمان الذي هو الجهل.

أمّا الآن نأتي إلى معتقد الذين يعذرون بالجهل في زماننا و هو مذهب الشيخ الذي نتحدّث عنه إذا سألوا عن الإيمان قالوا قول و عمل و نيّة كما هو لأهل السنّة لأنّهم إن قالوا الإيمان هو التصديق كما قال الجهم افتضحوا مباشرة لذلك فهم لا يقولون هذا يقولون الإيمان قول و عمل و نيّة طيب مادام الإيمان عندهم مركّب ليس بسيط كما قال الجهم فالعمل عندهم داخل في مسمّى الإيمان كما قرّروه أوّلا كذلك القول عندهم داخل في مسمّى الإيمان فإن قالوا لا نحن قلنا الإيمان قول و عمل و نيّة و لكنّه حقيقة في القول و النيّة مجاز في العمل صاروا بذلك مرجئة لإخراجهم العمل من مسمّى الإيمان و لمخالفتهم الإجماع الذي تقدّم فردّ ابن تيميّة رحمه الله تعالى في كتاب الإيمان الأكبر على هذه الشبهة و بيّن فساد هذا القول فليُرجع إليه. إذا فالذين يعذرون بالجهل لن يقولوا إلّا الإيمان مركّب من قول و عمل و نيّة كما يقولون الآن. طيب و مادام مركّبا فالعمل داخل في مسمّى الإيمان وأعمال الجوارح ملازمة لأعمال القلوب و الظّاهر ملازم للباطن كما تقدّم باعتبار أنّ الإيمان مركّب من قول و عمل و نيّة فصار بينهم تلازم يعني بين الظاهر و الباطن الظاهر الذي هو العمل و الباطن الذي هو النيّة نعم و الظاهر ملازم للباطن كما تقدّم الإجماع عن أهل السنّة في هذه القاعدة. طيب مادام قرّرتم هذا فلما تقولون إذا من كان ظاهره الشرك أي فعله عن جهل فباطنه الإيمان وهو مؤمن فدلّ على أنّهم نقضوا أصلهم في الإيمان وهو ملازمة الظاهر للباطن و أخذوا كلام الجهم الذي تقدّم في انفكاك الظاهر عن الباطن يعني مسألة انفكاك الظاهر عن الباطن عند الجهميّة هي مبنيّة على مذهبهم الفاسد في الإيمان الذي حصروه في مجرّد التصديق فأنتج هذا المعتقد الخبيث هذه القاعدة أنّ الظاهر منفكّ عن الباطن وهذه القاعدة في الإيمان هي بعينها التي يقرّرها الآن الذين يعذرون بالجهل جعلوا الظاهر منفك عن الباطل فدلّ

على أنّهم جهميّة مع أنّهم زعموا الانتساب لأهل السنّة في الإيمان فأوّل من قال بانفكاك الظاهر عن الباطن هو الجهم ابن صفوان كما هو معلوم و قد وافقوه في معتقده الخبيث بل الجهم أسلم في العقيدة منهم لماذا لأنّه الحالات المجمع على كفر فاعلها كالسجود للشمس و الصنم و القبر الجهم يكفّر فاعلها و لكن يقول فعله دلالة على اعتقاده الكفر و ليس كما نكفّره نحن بمجرّد عمله لا بالاعتقاد نحن نكفّر فاعل هذا الشرك بمجرّد العمل الجهميّة يقولون لا هذا علامة على اعتقاده الكفر فهو كافر و الذين يعذرون بالجهل لو فعله جاهلا لا يكفّروه فدلّ على أنّ الجهم في حالات يكون أسلم منهم في المعتقد. إذا فهذا كلّه للدّلالة على أنّهم أخبث في العقيدة من الجهم كما صرّح بهذا الشيخ الذي نتحدّث عنه و صاحبه الذي معه في ندوة ضوابط التكفير وحتّى المصري الذي يقولون عنه علّامة محدّث قالها صريحة يعني صرّح بهذا قال الذي يسجد للصنم لا نكفّره حتّى نسأله عن مراده بالسجود للصنم هذا القول كم قلنا لم يقل به لا الجهم و لا بشر المريسي و الله المستعان.

الخلاصة من هذا الأصل الأوّل الإيمان عند أهل السنّة مركّب من قول و عمل و نيّة و العمل داخل في مسمّى الإيمان و الظاهر ملازم للباطن فإذا كان الظاهر شركا كان الباطن شركا و العكس كما تقدّم نقله. و الإيمان عند الجهمية بسيط و هو التصديق و العمل خارج عن مسمّى الإيمان والظاهر منفكّ عن الباطن و ليس ملازما له فيحتمل أن يكون الظاهر شركا و الباطن إيمانا و الذين يعذرون بالجهل قرّروا أوّلا أنّ الإيمان مركّبا ثمّ نقضوه لقولهم بانفكاك الظاهر عن الباطن فوافقوا بذلك الجهم ابن صفوان فكذلك يصحّ عندهم أن يكون الظاهر شركا و الباطن إيمانا كما هو معلوم لذلك فقد جمعوا بين بدعة الجهم و الكذب و التناقض لأنّهم نقضوا ما قرّروه أوّلا.

والأصل الثاني في الردّ عليهم قاعدة الاستثناء معيار العموم و هذه القاعدة هي تبع للأصل الأوّل الذي قرّرناه في تلازم الظاهر و الباطن و لكن أردنا إفرادها لأهمّيّتها فالله تبارك و تعالى يخبرنا في كتابه العزيز أنّ قائل أو فاعل الكفر كافر بمجرّد قوله أو فعله و لم يشترط الحقّ تبارك و تعالى انتفاء الجهل عنه و لا القصد

قال تعالى " يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ " انظر هنا " وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ " يعني بمجرّد ما قالوا كلمة الكفر كفروا بعد إسلامهم وقال تعالى " لَقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُوا إِنّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ " وقال تعالى " لَقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُوا إِنّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ " والآي في هذا كثير و لم يستثني الله إلّا المكره قال تعالى "إِلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ " فدلّ على أنّ غير المكره على قول أو فعل الكفر كافر لماذا لأنّ القاعدة تقول الاستثناء معيار العموم يعني لا يستثنى إلّا المكره و الباقي على ظاهره هذه القاعدة الاستثناء معيار العموم فحين استثنى الشرع دلّ على أنّ الباقي يعني غير المكره هو مأخوذ على ظاهر القاعدة فلو كان الجاهل مستثنى من الكفر لما استثنى الله المكره لأنّ الاستثناء معيار العموم فغير المكره المستثنى بنصّ الآية داخل في عموم الحكم فاستثناء الجاهل تعارض صريح مع الآية و هذا الذي قرّره ابن تيميّة رحمه الله تعالى في المجموع المجلّد السابع الصفحة السابعة و الخمسون والثامنة و الخمسون بعد المائة الخامسة قال رحمه الله :" فإنّا نعلم أنّ من سبّ الله ورسوله طوعا بغير كره بل من تكلّم بكلمات الكفر طائعا غير مكره و من استهزأ بالله وآياته و رسوله فهو كافر باطنا و ظاهرا و أنّ من قال إنّ مثل هذا قد يكون في الباطن مؤمنا بالله و إنّما هو كافر في الظاهر فإنّه قال قولا معلوم الفساد بالضرورة من الدّين" اهـــ وهنا رحمه الله عاد إلى تقرير قاعدة تلازم الظاهر و الباطن فقد قال في الذين يقولون إنّ الذي يفعل الكفر قد يكون في الباطن مؤمنا وفي الظاهر كافرا كما يقول الذين يعذرون بالجهل قال رحمه الله "فإنّه قال قولا معلوم فساده بالضرورة" يعني الشارع استثنى المكره الذي يكون في الظاهر كافرا و في الباطن مؤمنا خلافا لقاعدة تلازم الظاهر والباطن لماذا لأنّ المكره مسلوب الإرادة و ليس بمختار فاستثناه الشارع وغير المكره يبقى على عموم قاعدة التلازم كما قال ابن تيميّة فالاستثناء معيار العموم بل إنّ ابن تيميّة رحمه الله في الصّارم شنّ على من قال إنّ الذي يفعل الكفر وهو غير مكره بل جاهل مثلا أو حتّى يعتقد بقلبه فهو مسلم قال رحمه الله في الصفحة الثالثة و العشرون بعد المائة الخامسة قال : "وأمّا الشبهة الثانية فجوابها من ثلاثة أوجه أحدها أنّ من تكلّم

بالتكذيب والجحد و سائر أنواع الكفر من غير إكراه على ذلك فإنّه يجوز أن يكون مع ذلك في نفس الأمر مؤمنا قال و من جوّز هذا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"اهـــ يعني ابن تيميّة رحمه الله تعالى يقول إنّ الذي يجوّز أنّ قائل الكفر وفاعله بلا إكراه قد يكون مؤمنا كما يقول الذين يعذرون بالجهل انظر ماذا قال هنا قال "فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه "لذلك كما قلت إنّ الكلام الذي قاله الرجلان في جنازة عبد السلام ياسين خطير يجب أن يتوبا منه.

و الأصل الثالث و الأخير في الرد عليهم، قاعدة استحالة اجتماع الأضداد في ذات واحدة:

تقرر أولا عند هؤلاء أن الإيمان مركب و القول و العمل كل منهما داخل في مسمى الإيمان و أعمال الجوارح لازمة لأعمال القلوب.إذا فالذي يقول أو يعمل الشرك فقد اجتمع فيه شرك و توحيد.هل يجتمع والشرك و التوحيد في ذات واحدة؟

القاعدة تقول:

المقابلة بين الضدين هي المقابلة بين أمرين وجوديين متنافيين في ما بينهما يستحيل اجتماعهما في ذات واحدة كالسواد و البياض مثلا يستحيل اجتماعهما في ذات واحدة، لماذا؟ لأن السواد ضد البياض.وكذلك الشرك و التوحيد كل منهما ضد للأخر فيستحيل اجتماعهما في ذات واحدة. وهذه القاعدة مجمع عليها فإن قالوا الشرك ليس ضدا للتوحيد و هما سواء كفروا إجماعا لأنهم أبطلوا بذلك دعوة الرسل كافة، فلم يقولوا إلا الشرك ضد للتوحيد فعندها نلزمهم بالقاعدة فينتج من ذلك أن الذي يفعل الشرك مشرك،و الشرك لا يجتمع مع التوحيد في ذات واحدة أبدا لذلك قال الحق تبارك و تعالى (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) فتخلية القلب من الشرك تكون قبل التوحيد لأنه لا يجتمع توحيد و شرك في قلب عبد أبدا و من لم يخلِ نفسه من الشرك فليس بمستمسك بالعروة الوثقى كما قال الحق تبارك و تعالى .

ونكون بهذا قد انتهينا من الأصل الثالث في الرد على الذين يعذرون فاعل الشرك بالجهل و لا يكفّرونه ليعلم بذلك أن قاعدة العذر بالجهل قاعدة طاغوتية شيطانية جهمية الأصل و النشأة و شبهة العذر بالجهل صارت أشد من شبهة الجهمية لأنه كما تقدم الجهم يكفّر من سجد الشمس أو القبر أو الصنم و هؤلاء لا يكفرون أحدا ما دام جاهلا و ليعلم كذلك أن الذين يعذرون بالجهل هم جهمية الأصل و الجهم هو جدهم الأول الذي فرعوا عليه أصولهم هذا مع كونهم ينتسبون لأهل السنة.

بقي هنا أن الذين يعذرون بالجهل يستدلون على مذهبهم بأدلة و هي قضايا أعيان كما تقدم و هي التي سنرد عليها و لكن قبل هذا نذكر بالقاعدة التي مرّت:

و هي إذا تقررت قاعدة كلية ووجدنا دليلا جزئيا يخالفها فأن هذا الدليل يلغى و يؤول لأن هذا الدليل المحتمل لا يقاوم الأدلة القطعية و الأصول الشرعية، كما قال بن تيمية رحمه الله "لابد أن تكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات حتى يتكلم بعلم و عدل"و هذا الذي كان عليه أهل العلم و النظر لذلك الذي لم تتقرر عنده أصول أهل السنة في الإيمان تجده يتخبط خبط عشواء كلما وجد أثرا أو حديثا تمسك به و ترك أصول الشريعة كافّة و كذلك في كلام الأئمة فالذي لم تتقرر عنده الأصول إذا قرأ كلام ابن تيمية مثلا أشكل عليه، ففي مواضع مثلا يثبت ابن تيمية حكما و في موضع أخر اثبت نفس الحكم. لذلك من العلماء من جمع بين كلام ابن تيمية و رد المتشابه منه إلى محكمه بالطرق المبسوطة في كتب الأصول . و من النوادر التي تذكر في هذا احد المعاصرين ممن يعذرون بالجهل حقق رسالة للشيخ محمد بن الوهاب فإذا قال الشيخ كلاما صريحا في عدم العذر بالجهل علّق من الأسفل قال (هذا كلام مشكل أو محتمل)و أحيانا يقول(لا اعرف ما الذي قصده).و إذا قال الشيخ كلاما يحتمل العذر بالجهل علّق من الأسفل و قال (و هذا معتقد أهل السنة).

و من أدلتهم التي يستدلون بها حديث الرجال الذي قال لأهله إذا مت فأحرقوني ثم ذروا نصفي في البر و نصفي في البحر ففعلوا كما أمرهم ثم بعثه الله و غفر له.قالوا هذا شك في قدرة الله أن يبعثه و هذا كفر مع ذلك غفر الله له فيكون قد عذره بجهله .

قد ردّ أهل العلم على هذا من أوجه كثيرة احدها- أن قول الرجل إنما هو من مجاز الكمال و بديع الاستعمال الذي صورته مزج الشك بيقينه و هو يسمى تجاهل العارف كقوله تعالى (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) فصورته صورة الشك و المراد به اليقين.

و ذهبت طائفة- إلى أن الرجل إنما وص بذلك تحقيرا لنفسه وعقوبة لها لعصيانها و إسرافها رجاء أن يرحمه الله مع العلم مسبقا بأن ذلك ليس بجائز في الشريعة. قالت طائفة أخرى لا يصح حمل هذا على أنه نفي قدرة الله فان الشاك في قدرة الله كافر.قد قال في أخر الحديث انه إنما فعل ذلك من خشية الله تعالى و الكافر لا يخشى الله و لا يغفر له لذلك، فله تأويلان

أحدهما أن معناه لان قدر عليا العذاب_ أي قضاه_ وقالوا قدر بالتخفيف و قدّر بالتشديد و كلاهما بمعنى واحد.. الثاني قدر هنا في الحديث بمعنى ضيق قال الله تعالى (قدر عليه رزقه) أي ضيق عليه رزقه.وللحديث كذلك تأويلات كثيرة منها أن الرجل لم يجهل صفة القدرة و إنما علم المعنى الأصلي للصفة و تأول لكمال المعنى لذلك إذا لم يرتكب كفرا أصلا .

و منها كذلك أن جهل الصفة فرد من أفراد الكفر، يعذر بالجهل فيه و ليس كالشرك معلوم أن الكفر جنس و الأفراد داخلة تحته مختلفة الحقائق لذلك فالإفراد كثيرة كفر الشرك، كفر الشك، كفر الجهل، كفر الإعراض، كفر الإباء و الاستكبار.. إلى أخره من أنواع الكفر.

إذا فالكفر جنس هنا في من قرر قال جهل الصفة من أنواع الكفر التي قد يعذر فيها بالجهل قال أما الجهل فلا على ما هو باق عليه شرك الذي يتلبس بالشرك فهذا مجمع على كفره.و قالوا هذا الرجل لم يتلبس بشرك أصلا حتى لا يغفر له و غيره من التأويلات كثير.

وكذلك مما يستدلون به حادثة ذات أنواط حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه و سلم "يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" قالوا فهذا برهان دال على أن الجاهل بالشرك و إن فعله آو قاله فهو معذور بجهله حتى تقوم عليه الحجة. و هذا عجيب لان الصحابة في هذا الحديث لم يتلبسوا بالشرك أصلا و إنما أرادوا فقط مشابهة الكفار في صورة الفعل بأن تكون لهم شجرة يعلقون بها أسلحتهم و هذا ما قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى في تعليقه في نفس الحديث قال " فأنكر النبي صلى الله عليه و سلم مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذهم شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم قال فكيف بما هو أطمّ من ذلك من مشابهتهم للمشركين أو هو الشرك بعينه" اهـــ .فجعل رحمه الله بذلك فعلهم مجرد بدعة أنكرها عليهم النبي صلى الله عليه و سلم مع أنها شرك جهلوه فعذرهم بجهلهم صلى الله عليه و سلم .

وهذا كذلك الذي قاله الشاطبي في تفسير الحديث قال "إلا انه لا يتعين في الإتباع لهم أعيان بدعهم بل قد تتبعها في أعيانها و تتبعها في أشباهها فالذي يدل عليه الأول يعني ــالإتباع في الأعيانــقوله "لتتبعن سنن من كان قبلكم" فقد قال فيه "حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"، و الذي يدل على الثاني قوله "فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط " قال صلى الله عليه و سلم هذا كما قالت بنو إسرائيل- الحديث.فان اتخاذ ذات أنواط يشبه اتخاذ الآلهة من دون الله لا أنه هو بنفسه." اهـــ

إذا فهي مشابهة في صورة الفعل مع أنها في عين الفعل اجتمع بين هذا و ذاك ، وكذلك يستدلون بقضية سجود معاذ رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه و سلم حملها أهل العلم على سجود التحيّة ،فالسجود نوعان تحيّة و عبادة، فنسخ الأول و بقي الثاني وغير هذا من الأدلة كثير ،وهذا عجيب يعني معاذ هذا قد

أرسله النبي صلى الله عليه و سلم كي يعلم الناس التوحيد فمعاذ لا يعرف الشرك هذا عجيب و غير هذا من الأدلة التي يستدلون بها كثير،و مع كثرتها إلا أن أهل العلم قد ردوا عليها خاصة ابن تيمية رحمه الله تعالى و تلميذه ابن القيم و رسائل أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مليئة بالردود في مسائل تكفير المعين و العذر بالجهل لتُراجع و لا داعي من التطويل.و إن يسر الله تعالى، نقوم إن شاء الله بسرد أدلة المرجئة من كتاب و سنة و المتشابه من أقوال الأئمة و نرد عليها بإذن الله من كلام الأئمة نفسهم.

والخطير في هذا أن قضايا الأعيان هذه جعلها هؤلاء القوم قواعد مطّردة صارت شروط و موانع لذلك الآن صرنا نفتح بعض رسائل المعاصرين الذين يصنفون في تكفير و ما التكفير و يقول لك شروط التكفير واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة و يعد..ثم يقول لك موانع التكفير واحد، اثنان ،ثلاثة، أربعة و يعدها.. و هذا كله من البدع المحدثة حتى الأشاعرة الذين هم أفراخ الجهم في الإيمان في كتبهم الفقهية و في أبواب الردة لا يذكرون لا شروط و لا موانع فدل على أن هؤلاء شرّعوا أصولهم في الإيمان و الكفر على الجهم بن صفوان نسال الله السلامة،و هم كذلك يحذرون من التكفير و ما تكفير و الواجب أن يُحَذّر من التكفير و من عدم التكفير لان كلاهما خطير فكما أن إخراجك لرجل مسلم وتكفيرك و إخراجك له من دائرة الإسلام خطير فكذلك إدخالك لمن ليس بمسلم في دائرة الإسلام خطير كذلك كلاهما خطير .

و أخيرا أقول لهذا الرجل و صاحبه الذي ظاهر معه في جنازة عبد السلام ياسين أن يتوبا إلى الله و أن يراجعا معتقداتهم فو الله لن ينفعكما احد ممن يحيط بكم الآن عندما تقفا أمام الله فيحاسبكم على ما سلف منكم كل واحد في هذه الدنيا لا بد أن يبحث عن سلامته و عن نجاته أولا فالحق ضالة المؤمن و ليس عيبا أن يتراجع الرحل عن أشياء بدرت منهم و في قصة السلف عبرة فمنهم من تراجع في أخر عمره و الحق ضالة المؤمن فأينما وجده فلابد أن يتمسك به و يعض عليه بالنواجذ .

غفر الله لنا و لمن علمنا و الله أعلم و صلى الله عليه و سلم على نبينا محمد و على اله و صحبه

أجمعين.